المراكز الاجتماعية وما حققته للفلاح

للدكتور أحمد حسين

مدير إدارة الفلاح

أصبح الفلاح الآن رجل الساعة فى البلاد ، فقد استأثر بكل اهتمام أولى الرأى والمصلحين وملأ الحديث عنه قاعات المحاضرات وأعمدة الصحف حتى كاد يطغى على أنباء الحرب . وإن كان هذا الاهتمام بإصلاح حال الفلاح لم يتحول بعد إلى الناحية العملية التنفيذية فهو على كل حال ظاهرة طيبة لابد أن سيكون لها باذن الله أثرها مع الوقت .

وأعتقد أننى أستطيع أن أوفر على القراء وعلى نفسى الاسترسال فى وصف حالة الفلاح وما وصلت إليه من تأخر، وكل ما أريد أن أكرر التنبيه إليه أن هذا الفلاح الفقير المريض المحروم من التعليم يكون أكثر من ثلاثة أرباع السكان أى غالبية الأمة ، أى أننا عند ما نتحدث عن الفلاح وتأخره وهبوط مستوى معيشته نتحدث فى الواقع عن الشعب المصرى وتأخره وهبوط مستوى معيشته . ولا يغير من ذلك ما نشهده من بعض مظاهر التقدم حولنا فى المدن فهى لا تمثل البلاد ولا يتمتع بها إلا قلة لا تذكر من السكان .

كما أريد أن أنبه الى أن مشاكل الفلاح التى استعصت وتشابكت وأزمنت نتيجة اهمال شأنه ونتيجة عوامل سياسية واقتصادية مدى آلاف السنين لا يمكن أن تعالج بين يوم وليلة كما لا يمكن أن تجدى فى علاجها الحلول المرتجلة التى لا تقوم على أساس سليم من البحث العلمى والتجربة العملية .

وأضرب لذلك مثلا أنه لما أنشئت إدارة الفلاح منذ عامين كان موضوع الشاى الأسود يحتل المكان الأول من اهتمام الرأى العام الذى اعتقد أن الشاى الأسود هو أساس بلاء الفلاح فهو الذى يهدم صحته ويستنفد كل دخله ويحرمه الغذاء والكساء .

وكنا إذا ما طالبنا بأى إصلاح للفلاح كوضع حد أدنى لأجره مثلا كان الجواب أن لا ثمرة فى هذا، لأن الفلاح سينفق الزيادة فى أجره على الشاى الأسود أيضا، وأننا لو قصرنا اهتمامنا على منع هذا الشاى لتغيرت حال الفلاح واستغنى عن أى إصلاح آخر ويبحث هذا الموضوع علميا تبين أنه ليس لهذا الشاى الأسود ضرر صحى يتجاوز ضرر أنواع الشاى الأخرى وأن ما تنفقه البلاد على الشاى الأسود والأحمر والأخضر معا لا يتجاوز فى مجموعه ١/٩ ما تنفقه على الدخان، وبذلك فقدت معركة الشاى أهميتها. وقد قصدت بهذا المثل مجرد التدليل على

قيمة البحث العلمى وخطر التأثر بالظواهر والآراء الطارئة و إنى بالطبع أبعد ما يكون عن التشجيع على استعمال الشاى الأسود فالفلاح أولى بالاستفادة بكل مليم من دخله الضئيل ينفقه فيما ينفعه .

نقطة ثالثة أريد التنبيه اليها فى بداءة هذا المقال، وهى أن أول خطوة فى سبيل اصلاح حال الفلاح هى تغيير اتجاهه العقلى وحالته النفسية، وذلك بأن يشعر بما يحتاج إليه من اصلاح وأن يقتنع بضرورته وأن يسعى لتحقيقه، فلن تثمر مشروعات الاصلاح التى تفرض على الفلاح دون أن يتفهمها و يقتنع بفائدتها و يكون له نصيب فى تحقيقها .

أضف إلى ذلك أن موارد الدولة لن تتسع لتحقيق كل مشروعات الاصلاح إذا قامت بها الحكومة وحدها فمشروع تعميم مياه الشرب يحتاج الى ٢٠ مليونا من الجنيهات، ومشروع القرى النموذجية يحتاج الى ٩٠ مليون جنيه وهلم جرا .

والآن نعود الى موضوعنا وهو المراكز الاجتماعية وما حققته للفلاحين. وأعتقد أن هذا العنوان فيه كثير من التجوز إذ لم يمض بعد على البدء فى تنفيذ مشروع المراكز الاجتماعية إلا نصف عام أو أكثر قليلا، وقد اتفقنا على أن اصلاح حال الفلاح على أساس سليم ليس مما يتيسر تحقيقه فى مثل هذا الوقت القصير وربما كان العنوان الأنسب لموضوعنا : "المراكز الاجتماعية وما بدأت بتحقيقه للفلاح".

وقبل تناول ما بدأت المراكز الاجتماعية فى القيام به من خدمات أرى أن أذكر بايجاز ما هية هذا المشروع :

وضع هذا المشروع بعد دراسة وافية لظروف الريف المصرى واحتياجاته وما قامت به بعض البلاد المشابهة لنا كالهند و بعض دول البلقان فى ميدان الإصلاح الريفى، وكذلك التجارب العملية لإصلاح القرية التى تقوم بها بعض الهيئات فى مصر .

ويقوم المشروع على أسس ثلاثة :

أولا — أن يتناول خدمة الفلاح والقرية من كافة النواحى الاقتصادية والصحية والثقافية والاجتماعية فى وقت واحد، إذ من الثابت أن الخدمة فى اتجاه واحد لا ثمرة لها فما فائدة إرشاد الفلاح الى وسائل النظافة والصحة إذا حال فقره دون القدرة على شراء الصابون كما أن تعليم الفلاحين مع تركهم على ما هم فيه من فقر وجوع قد يضر ولا ينفع .

ثانيا — اقتناع الفلاحين بمزايا الاصلاح وكسبهم للمعاونة على تحقيقه من طريق مساهمتهم المادية فى التكاليف واشراكهم الفعلى فى ادارة العمل اشتراكا يزيد مع الوقت حتى يصبح المركز الاجتماعى هيئة محلية بالقرية يديرها الأهالى بأنفسهم وتكتفى الحكومة بإرشادهم وتوجيههم واعانتهم ماليا فى حدود متواضعة .

ثالثا — مراعاة البساطة وقلة التكاليف حتى يسهل تعميم المشروع.

ويتولى العمل فى كل مركز ثلاثة موظفين يقيمون فى القرية بين أهلها وهم :

أولا — إخصائى زراعى اجتماعى من خريجى كلية الزراعة يلق منهجا خاصا فى الخدمة الاجتماعية الريفية ومهمته العمل على زيادة دخل الفلاحين بإرشادهم إلى اختيار أفضل البذور واتباع أحدث أساليب الزراعة وطرق مقاومة الآفات ، ومعاونتهم فى تصريف حاصلاتهم وتشجيع التعاون بينهم و إدخال مايلائم المنطقة من زراعات مربحة وصناعات زراعية لاستغلال منتجاتهم وصناعات منزلية تمكنهم من استثمار وقت فراغهم بشكل مربح كما تتناول مهمته المعاونة على تحقيق كل مايؤدى إلى رفع المستوى الثقافى والاجتماعى بالقرية .

ثانيا — طبيب يعمل كل الوقت أى ليست له عيادة خاصة ومهمته دراسة القرية دراسة صحية ووضع سياسة لتلافى مابها من عيوب كما يقوم بإرشاد الأهالى إلى طرق توقى الأمراض .

ويتولى هذا الطبيب علاج الفلاحين بالمجان وصرف الدواء لهم بالمجان أيضا سواء فى العيادة الطبية أو فى المنازل عند الضرورة .

ثالثا — زائرة صحية اجتماعية من خريجات مستشفى قصر العينى تلقت تدريبا خاصا فى الخدمة الاجتماعية لريفية وتعنى بصحة الحوامل والأمهات والأطفال كما تعمل على رفع مستوى القرويات بتعليمهن النظافة و إرشادهن اجتماعيا وتلقينهن بعض الصناعات اليدوية النافعة كمصدر دخل إضافى لهن. وتستعين الزائرة فى عملها بدايات القرية الحاليات مع توجيههن والإشراف عليهن ، وقد بدئ بتعليم بعض فتيات القرية التمالحات التوليد والتمريض بمراكز رعاية الطفل وذلك بغية رفع مستوى الخدمة فى القرية عن طريق أهلها أنفسهم .

وأول مهمة لموظفى المراكز الاجتماعية بعد التعرف إلى الأهالى وكسب مودتهم وثقتهم هى بحث حالة القرية بحثا علميا . وعلى الطبيب أن يفحص جميع أهل القرية فردا فردا فحصا طبيا شاملا ، وعلى الإخصائى أن يدرس حالة كل عائلة دراسة اقتصادية اجتماعية كاملة وسيكون لتلك البحوث عند إتمامها قيمتها العلمية والعملية .

والأساس فى عمل هؤلاء الموظفين هو الروح التى تسودهم فهم ليسوا من الحكام بل هم مرشدون و إخوة للفلاحين يقيمون بينهم و يدرسون متاعبهم واحتياجاتهم و يتعاونون معهم على النهوض بأنفسهم وقريتهم وليس لهم من سلطان أو نفوذ إلا بقدر مايكتسبون من ثقة ومحبة ، فطبيب المركز مثلا يسعى لتلافى أسباب الإصابة بالأمراض و ينير أذهان الفلاحين بأحاديثه معهم و يعنى بعلاج الفقير قبل الغنى ولا يتأخر عن تلبية طلب أصغر فلاح فى أى وقت بالليل أو النهار بلا مقابل ، وهو ينظر اليهم نظرته إلى أهله وعشيرته . عليه أن يقيمهم

ما استطاع من الإصابة من الأمراض، وعليه أن يعالج ويرعى مرضاهم . وقد شاهدت عند زيارتى لأحد المراكز الاجتماعيـة أخيرا مريضا فقيرا يحتاج لعناية متصلة أبقاه الطبيب لديه شهرين يسهر على علاجه ويطعمه من جيبه الخاص .

أما عن منشآت المركز الاجتماعى فتتكون من بهو فسيح للاجتماع وسماع المحاضرات والراديو ملحق بها غرفة للمكتبة القروية واجتماع المجالس واللجان وأخرى للإخصائى . ومن دار لرعاية الأم والطفل تقيم بها الزائرة الصحية، وأخرى لعيادة لطبية ومسكن لكل من الطبيب والإخصائى . كما تشمل تلك المنشآت طلمبات لتوفير المياه النقية وحمامات للرجال وأخرى للنساء .

أما عن تكاليف المراكز الاجتماعية فقد قدرت عند وضع المشروع بثلاثة آلاف جنيه من جانب الحكومة لكل مركز فى السنة الأولى تهبط بعد ذلك إلى ١٠٠٠ جنيه سنويا أى بمعدل عشرة قروش لكل شخص فى السنة نظير خدمات المركز الشاملة على أساس أن كل مركز يخدم ١٠٠٠٠ نفس من أهل الريف وهو مبلغ تافه بالنسبة لقيمة تلك الخدمات .

وقـد خفضت الحكومة بسبب الظروف الحالية الحاضرة الاعتماد الشخصى لإنشاء المراكز الاجتماعية من ١٠٠,٠٠٠ جنيه لثلاثين مركزا إلى ١٥٠٠٠ جنيه لخمسة مراكز .

بعد هذا العرض السريع لأغراض مشروع المراكز الاجتماعية وأسسه ووسائله أود أن أشير ثانية إلى أننا لم نبدأ بتنفيذ هـذا المشروع إلا من منتصف العام الماضى أى أننا لم نزل فى البداية وأمامنا طريق طويل شاق فى العمل المستمر حتى نصل إلى تحقيق الاصلاح المرجو فالمقصود من هذه الكلمة أن أصف بداءة العمل فى المراكز الاجتماعية على ما شاهدناه من بوارق الأمل والنجاح يضاعف إيماننا بسلامة هـذا المشروع ويقوى ثقتنا بأننا نسير فى الطريق السليم وأن اصلاح حال الفلاح أمر ليس بالمستحيل عمليا كما يظن بعض المتشائمين فعلى الرغم مما لاقيناه من مختلف الصعوبات وخصوصا ما سببته الحرب من ارتفاع فى أسعار مواد البناء والأدوات الصحية والحاجيات الطبية وتعذر الحصول على الكثير منها ، بدأ المشروع بنجاح نغتبط له كل الاغتباط .

وضع المشروع على أساس أن يتحمل الأهالى نصيبا من تكاليف المبانى اللازمة كأن يتبرعوا بالأرض والطوب والعمل ، وقد كان تقديرنا هذا مثارا لسخرية الكثيرين الذين لم يؤمنوا بأن الفلاح يدفع قرشا .

والواقع أن الفلاح وإن كان كثير الشك قليل الايمان بموظفى الحكومة بطىء الاستجابة لنداءاتهم فالذنب ليس بذنبه لأنهم لم يشعروه أنهم يريدون خدمته وفهم مصاعبه ومساعدته

فى التغلب عليها، فأكثر ما يلمسه الفلاح الصغير من جانبهم مظاهر التحكم والتعالى والايذاء بالمحاضر والمخالفات دون أن يحاولوا إفهامه مزايا القوانين والأنظمة التى يقومون على تطبيقها.

والفلاح لو فهم وآمن باللين والعطف لما تأخر عن التعاون والسخاء، و بالفعل لمسنا ذلك عندما كررنا زياراتنا للقرى شارحين لأهلها المشروع معتمدين على الايمان والاقناع بعيدين عن أى ضغط أو إكراه وقد تجاوز سخاء الأهالى تقديرنا، ولما علموا بتخفيض عدد المراكز تسابقوا فى كسبها لقراهم وتحمسوا حتى تعهدوا بإقامة المبانى على نفقتهم رغم أن تكاليفها تتجاوز الألفين من الجنيهات و زاد عدد القرى التى أبدى أهلها هذا الاستعداد عن ضعف ما تسمح به ميزانيتنا كما أبدى أهالى ٦٠ قرية أخرى استعدادهم للمساهمة بما لا يقل عن ١٠٠٠ جنيه فى كل جهة .

وليس هذا مجرد وعد كلامى فقط، فقد أوشكت المبانى أن تتم فى أول مركز وهو بناحية هلا مركز ميت غمر وقد بلغت تبرعات الأهالى فى تلك الجهة للآن ١٤٥٠ جنيها وفدانا من الأرض و ١٠٠,٠٠٠ طوبة حمراء جمعت كلها بغير اجبار و بمعرفة لجان مختارة من أهل الجهة أنفسهم .

وتسير عملية جمع التبرعات والمبانى أو "التشوينات" فى بقية المراكز بهمة ونشاط، ولن يمر هذا العام بإذن الله حتى تكون المبانى قد تمت فى الخمسة المراكز الأولى رغم غلاء الأسعار .

و يقبل الأهالى على التبرع والمساهمة فى إقامة المبانى صغيرهم وكبيرهم كل بحسب طاقته وذلك بأن اتفقوا فيما بينهم على فئة معينة عن كل فدان تتراوح بين ٢٠ و ١٠٠ قرش وفقا لحالة كل قرية، كما ساهم غير الملاك كل بقدر طاقته ولم يتأخر عن التبرع حتى أرق أهل القرية حالا. فساهم البناء والنجار والعامل بعملهم أياما معلومة. ومن طريف ماحدث فى أحد المراكز أنه علاوة على التبرعات العادية قام شبان القرية بمناسبة العيد بتنفيذ مشروع القرض للمركز الاجتماعى فى قريتهم بمعدل قرش واحد عن كل شخص وقد استجاب لندائهم ٨٦٠٠ شخص دفعوا مبلغ ٨٦ جنيها مع مراعاة أن أهل هذه القرية أقل عددا من ١,٠٠٠ نفس وقد شهدت بنفسى فى جهة أخرى أن الحماسة للتبرع دفعت مساح أحذية للتبرع بمبلغ جنيه فنصحته شخصيا بتخفيض تبرعه إلى ٢٠ أو ٥٠ قرشا فلم يقبل وأصر على دفع الجنيه . كما تقدمت فلاحة فقيرة بدجاجتها للجنة جمع التبرعات لبيعها وأخذ ثمنها للمشروع .

وفيما يلى بيان بما وصلت إليه التبرعات فى المراكز الاجتماعية حتى نهاية الشهر الماضى:

هلا — و يشمل قرى هلا والقيطون وكفر الشيخ بالدقهلية، و بلغت التبرعات التى دفعت بالفعل فيه ١٤٥٠ جنيها وفدانا من الأرض و ١٠٠,٠٠٠ طوبة حمراء وقد تم إقامة مبنى دار رعاية الأم والطفل والعيادة الطبية وأوشك بناء المركز الاجتماعى أن يتم .

برما — ويشمل قريتى برما وحصة برما بالغربية وبلغت التبرعات به ٨١٤ جنيها وتم بناء دار رعاية الأم والطفل ووصلت مبانى العيادة الطبية والمركز الاجتماعى إلى ارتفاع متر ونصف.

العلاقمه — ويشمل قريتى العلاقمه وكفر موسى عمران بالشرقية وبلغت التبرعات به ٩٠٦ جنيهات وتم شراء منزل يصلح دارا لرعاية الأم والطفل و"شون" ١٢٠,٠٠٠ طوبة حمراء و١٥٠ مترا مكعبا من الزلط والرمل وسيشرع فى حفر الأساس لمبانى العيادة الطبيـة والمركز الاجتماعى قريبا.

أبو النمرس — ويشمل قريتى أبى النمرس وترسا بالجيزة وبلغت التبرعات به ٨٦٢ جنيها و"شون" ٥٢٠ مترا مكعبا من الدبش و٣٠ مترا مكعبا من الجير وأمكن الحصول على فدانين من أملاك الحكومة لإقامة المبانى عليه.

منية الحيط — ويشمل قرية منية الحيط بالفيوم، وبلغت التبرعات به ٥٣٧ جنيها و"شون" ٨٠٠ متر مكعب من الدبش والطوب الأحمر والرمل، و٢٤ مترا مكعبا من الجير الحى وأمكن الحصول على جبانة قديمة ملك الحكومة تزيد مساحتها على ثلاثة أفدنة لإقامة المبانى عليها بعد تمهيدها بمعرفة الأهالى، وتم تمهيد مايزيد عن مساحة فدان ونصف.

محلة زياد — ويشمل قريتى محلة زياد ومحول بالغربية. وقد أمكن انشاء هذا المركز الاجتماعى السادس أخيرا من نفس الاعتماد وبلغت التبرعات به ١٥٠ جنيها، وأمكن الحصول على مساحة ٦٠٠٠ متر من أملاك الحكومة لإقامة المبانى عليها.

وإن كان لهذه التبرعات قيمتها المـادية فى تخفيض نفقات المشروع ممـا يشمل تعميمه فلها ناحيتها الأدبية التى لا تقل عن الأولى أهمية. فهى تحفظ على الفلاحين كرامتهم وتشعرهم بأن المركز الاجتماعى مركزهم يعتزون به ويعملون على نجاحه ويقبلون على الاستفادة بخدماته وهم مرفوعو الرأس موفورو الكرامة.

ولم تسمح حماسة الأهالى للمشروع بالانتظار حتى تتم إقامة المبانى، فنزلوا لنـا مختارين عن أفضل منازلهم بلا مقابل ليبدأ بها العمل ويقيم فيها الموظفون.

بدأ موظفو المراكز عملهم بالتعرف إلى الأهالى وكسب مودتهم وثقتهم واتهاز كل فرصة لتفهيمهم جميعا ماهيـة المركز الاجتماعى وأغراضه ومزاياه واختيار الشخصيات التى تميل لخدمة العامة وتصلح للقيادة للاستعانة بهـا فى العمل. وتمشيا مع أساس المشروع فى اشراك الأهالى فى تولى اعمال الإصلاح كونت فى كل جهة جمعية للمركز الاجتماعى وانتخبت هذه الجمعية من بين أعضائها لجانا تختلف أوجه النشاط وهى:

لجنة الاقتصاد والزراعة — لجنة الصحة والنظافة — لجنة الثقافة والتعليم — لجنة تنظيم الإحسان — لجنة المصالحات — لجنة الإصلاح الدينى.

و يتولى الاخصائى الزراعى ارشاد تلك اللجان وتوجيهها على أن تتدرب على تولى مهامها بنفسها كما يعنى الأخصائى بجمعيات التعاون القائمة بالعمل على تنشيطها وتنظيمها وإنهاض الضعيف منها، وانشاء جمعيات نموذجية على أسس سليمة حيث لا توجد جمعيات. وسنتناول فيما يلى أهم الخدمات التى أدتها المراكز الاجتماعية :

الخدمات الاقتصادية :

أولا — تحسين الإنتاج الزراعى — نجح الإخصائيون فى توجيه الأهالى نحو تحسين انتاجهم بإرشادهم واقناعهم باستعمال أحسن أصناف التقاوى التى لا تصل عادة إلى صغار الزراع كالقمح المبروك فى ناحية برما و بذرة القطن الأشمونى الممتاز فى قرية أبى النمرس والمطن الكرنك فى محلة زياد . كما تناول نشاط الإخصائى إدخال أساليب الزراعة الحديثة كزراعة الذرة بالنقر فى أبو النمرس ، والأرز بالشتل فى حلا ، والقطن بالضرب بالعصى والرمل فى كل المراكز .

ونجح الإخصائيون فى حث الأهالى على تنظيم جهودهم فى مقاومة الآفات الزراعية فنجحت مقاومة دودة ورق القطن عن طريق الأهالى فوفرت قرية برما مثلا مالا يقل عن ثلاثة آلاف جنيه كانت تتكلفها للتراحيل الحكومية سنويا .

وقد وافقت وزارة الزراعة على إنشاء حقل صغير نموذجى لكل مركز اجتماعى يشرف عليه الإخصائى وذلك لاستكمال الناحية العملية والنموذج المدروس فى الارشاد الزراعى .

ثانيا — إدخال زراعات جديدة — أمكن اقناع الأهالى بزيادة مساحة زراعة الخضر بدلا من القطن ، مثال ذلك أن زادت مساحة الخضر ٩٠ فدانا فى ناحية أبى النمرس . كما أمكن ادخال زراعات جديدة مربحة لأول مرة فى قرى المراكز الاجتماعية كالبطاطس فى العلاقمة وبرما ، والخرشوف والبسلة والكتان بأبى النمرس ، والعنب والبرتقال بالعلاقمة والأشجار الخشبية بكميات كبيرة بكافة المراكز مما شجع على انشاء مشتل صغير بكل قرية لمد الأهالى بما يحتاجون اليه من أشجار مستقبلا . وقد غرس كثير من تلك الاشجار فى مداخل وطرق القرى لتجميلها والاستفادة بظلها .

ثالثا — تربية الماشية والدواجن — استجاب بعض الأهالى لنصح الإخصائيين بتربية العجول على نطاق واسع لغرض بيعها للذبح ، وتم ذلك فى برما ومنية الحيط . كما نجحت الجهود التى بذلت فى تحسين نوع الدجاج باستيراد الأصناف الممتازة من وزارة الزراعة وتم مشترى حوالى ١٢,٠٠٠ كتكوت من نوع الفيومى اللجهورن لخمسة المراكز حتى الآن.

وقد تم الاتفاق مع وزارة الزراعة على استبدال الديكة الحالية بقرى المراكز بديكة ممتازة من الفيومى واللجهورن دون مطالبة الفلاحين بفرق الثمن ؛ و بذا سيتغير نوع الدجاج ووزنه

وانتاجه للبيض تغييرا كبيرا يؤثر على دخل صغار الفلاحين تأثيرا ملموسا ، إذ يبلغ ماتعطيه الدجاجة الواحدة من الجهورن سنويا ٢٢٠ بيضة كبيرة الحجم ، فى حين أن انتاج الفرخة البلدية لايتجاوز ١٦٠ بيضة صغيرة الحجم .

وقد وافقت وزارة الزراعة على تسليم كل مركز اجتماعى أربعة طلائق ممتازة من الجاموس والبقر والحمير والأغنام لتحسين سلالات الماشية فى المنطقة وللتدليل على قيمة تحسين نوع السلالات نذكر أن متوسط إدرار الجاموسة العادية للبن يبلغ حوالى ٨ أرطال يوميا فى حين أن إدرار الجاموسة من السلالات المنتقاة ببعض مزارع وزارة الزراعة تصل إلى ٤٠ رطلا يوميا فلو وصلنا ولو إلى نصف هـذه الكمية فى إدرار جاموسة الفـلاح العادى لكان معنى ذلك زيادة إنتاجه من اللبن إلى ٢٥٠ ٪ من الكمية الحالية .

ومعلوم أن صغار الفلاحين يعتمدون فى معاشهم على مثل تلك الموارد الإضافيـة أكثر من اعتمادهم على أجورهم أو ما يتبقى لهم من إيراد الأرض بعد سداد إيجارها المرتفع بل كثيرا ما لا تكفى هذه الغلة لسداد الإيجار فيوفون الباقى من ثمن الجبن والزبد والبيض .

رابعا — الصناعات الزراعية والمنزلية — أمكن إدخال تربية دودة القز لإنتاج خيوط الجراحة لأول مرة فى قرى المراكز كلها كما حصلنا من وزارة الزراعة على كميـة من أشجار التوت لكل مركز ، وذلك توطئة للتوسع فى التربية مستقبلا ويهمنى أن أنوه بأن العائلة التى تربى نصف علبة فقط من بويضات دودة القز تحصل عليها بالمجان ولا تكلفها التربية أكثر من العناية بالنظافة وجمع جانب من أوراق التوت لغذاء الديدان تحظى فى نهاية موسم التربية الذى لا يتجاوز شهرين بربح لا يقل عن أربعة جنيهات ثمنا لخيوط الجراحة الناتجة وهـذا المبلغ يعادل دخل العامل الأجير طول العام .

وقد أمكن إقناع مربى النحل فى هـلا وهم كثيرون باستعمال الطرق الحديثة النظيفة فى استخراج وتصفية عسل النحل بمعاونة وزارة الزراعة ، والمنظور أن يحصل هؤلاء المربون (تجربتنا من تجارب سابقة) على أكثر من ضعف الثمن لعملهم العادى دون تحمل أى نفقات جديدة أو مجهود سوى العناية والنظافة .

وتمت دراسة مشروع مصنع ريفى للكانس وآخر للدواسات من الليف وثالث للعجوة النظيفة فى أبى النمرس وعملت التجارب اللازمـة وسيبدأ العمل فى تلك المصانع قريبا وللتدليل على أهميـة تلك الصناعات الصغيرة أذكر أنه عند صنع عينات العجوة النظيفة وبيعها فى السوق بأقل من السـعر السائد تبين أن الفلاح يحصل بهذه الطريقة على ثمن يزيد بمقدار ٤٠ ٪ عن ثمن العجوة العادية بعد كل التكاليف وتظهر قيمة هذه الزيادة إذا لاحظنا أن بتلك القرية ٦٥,٠٠٠ نخلة ، ويلاحظ أن مصر تستورد سنويا من الخارج عجوة بما يزيد عن ٧٠,٠٠٠ جنيه .

وقد بدئ بشراء أنوال نسيج يدوية لتعليم الفلاحين تلك الصناعة المنزلية لاستغلال أيام تعطلهم وأوقات فراغهم بشكل مثمر يزيد دخلهم الضئيل و بدئ كذلك فى إدخال صناعة الجريد لإنتاج الكراسى والأسرة والأقفاص فى نواحى أبو النمرس والعلاقمة ومنية الخيط .

وتتولى الزائرات الصحيات تعليم فتيات القرى أشغال الصوف والإبرة والتريكو لصنع الطواقى والمفارش والشيلان وغير ذلك من المنتجات التى يسهل تصريفها بشكل مربح، وقد بدأت فتيات أبو النمرس والعلاقمة ومنية الخيط بإنتاج بعض الأصناف الصالحة للسوق .

وأرجو ألا نستهين بقيمة وأهمية تلك الصناعات المنزلية الصغيرة كوسيلة لزيادة دخل صغار الفلاحين ومكافحة فقرهم وهو أس ما هم فيه من بؤس وشقاء ، فالفلاح يعمل يوما ويتعطل آخر وليس لزوجته ما يشغلها من طهى ألوان الطعام المختلفة أو حياكة الملابس الكثيرة أو العناية بنظافة فاخر الأثاث فقد أراحها الفقر من هذا كله ، وبضعة قروش تكسبها الأسرة فى الأسبوع من أية صناعة إضافية كالغزل والنسج أو غير ذلك تفرج من ضيقها وتغير من حالها .

وقد سبقنا كبار المصلحين الريفيين فى الهند و اعتمدوا بنجاح على نشر الصناعات المنزلية فى القرى كخير وسيلة لمكافحة الفقر .

الناحية الصحية — كانت أول خطوة فى هذه الناحية دراسة حالة القرى ووضع السياسة اللازمة لتوفير البيئة الصحية فيها كتوفير مياه الشرب والحمامات ودراسة حال البرك الموجودة وأفضل خطة للتعاون على ردمها وحالة دورات مياه المساجد وخير الطرق لإصلاحها وحالة مآخذ المياه الحالية فى القرى وطرق تصريف الفضلات وغير ذلك وقد وجهت لنظافة القرى — طرقها ومنازلها وأشخاص سكانها — أكبر عناية ، فهناك دعاية مستمرة لحث كل عائلة على تنظيف دارها من الداخل وما يقع أمام الدار من الطريق ، ويمر الإخصائى والزائرة يوميا لهذا الغرض يعاونهم فى ذلك أعضاء لجنة الصحة والنظافة الذين قسموا القرى فيما بينهم إلى مناطق اختص كل منهم بإحداها وقد شكلت لجان من تلاميذ المدارس لمراقبة نظافة الطرق ومن التلميذات لمراقبة نظافة المنازل من الداخل وللتفوقين من أعضاء تلك اللجان شارات خاصة يعتزون بها ويحرصون على مداومة الاحتفاظ بها لأن النظام الموضوع يقضى بسحب الشارة من كل من يهمل، ويتم منح وسحب تلك الشارات فى اجتماعات هامة بالمدارس يحسب لها هؤلاء الصغار كل حساب .

وقد اختفت تقريبا أكوام الأسمدة والأتربة والقاذورات من الطرق وارتفع مستوى نظافة المنازل ارتفاعا ملحوظا .

وتلقى المدارس عناية صحية خاصة فتزورها الزائرة الصحية بانتظام لمراقبة نظافة الأولاد والبنات وإحالة المرضى منهم للعلاج .

ويسرنى أن أقرر أن أول ما يسترعى انتباه أى زائر لقرى المراكز الاجتماعية ما يشهده فيها من نظافة تختلف اختلافا بينا عنها فى القرى العادية حتى أن بعض هؤلاء الزوار يسيئون بنا الظن وينسبون تلك النظافة إلى استعداد خاص بمناسبة الزيارة والواقع أنها نتيجة لمجهود يومى متواصل .

وتلقى العناية بالعيون كل اهتمام وتنظم لهذا الغرض طوابير يومية للقطرة والمس كما تنظم بكل قرية دعاية صحية عن طريق المحاضرات والأحاديث وأفلام وزارة الصحة .

وتتغلغل بين القرويات خرافات صحيـة ويؤمن بوصفات بلدية ضارة وتبذل الزائرة الصحية جهدا متصلا فى محاربة تلك المعتقدات وقد أمكن القضاء على البعض منها بنجاح بفضل ما اكسبته الزائرات من ثقة ومحبة القرويات .

ويمر الموظفون بسوق القرية لمراقبة نظافة المأكولات المعروضة وصلاحيتها، وينصحون بتغطيتها كما تنظم حملات لمقاومة العادات الضارة كالتدخين وتعاطى المكيفات .

ويقبل الفلاحون على الاستفادة بخدمات العيادة الطبية ودار رعاية الأم والطفل وهم مغتبطون بمـا يلقون فيها من رعاية وعناية ، مرتاحون الى ما أفادوه منها وماوفرته عليهم من مشقة الانتقـال وتكاليف العلاج وهم يدخلونها بثقة وكرامة لشعورهم بأن المركز الاجتماعى مركزهم وبأنهم قد ساهموا فى نفقاته وأنهم لا يحصلون على هذا العلاج كصدقة .

وقد بلغ عدد المترددين على عيادات المراكز الاجتماعية الخمس فى الستة الأشهر الأولى حوالى ٤٠ ألفـا والمترددات على دور رعاية الأم والطفل حوالى ٢٥ ألفـا وذلك بخلاف الحالات التى لايتيسر علاجها فى القرية ويحيلها الطبيب الى أقرب المستشفيات والزيارات المنزلية للطبيب والزائرة .

الناحية الثقافية — بدئ فى كل المراكز بحملة لمكافحة الأمية وأنشئ بكل قرية فصل ليلى لتعليم الكبار القراءة والكتابة والحساب وبعض المعلومات العامة ويقوم بالتدريس فى تلك الفصول مدرسون من القرية متطوعون ويقوم الاخصائى بتدريس المعلومات العـامة والزائرة بتـدريس مبادئ الصحة . ويدفع كل طالب مصروفات شهرية قـدرها قرشان لتغطية المصاريف وإشعار الطلبة بكرامتهم وحفزهم على المواظبة، وليست بهذه الفصول مجانية إطلاقا وقد أمكن اقناع بعض الأعيان بدفع المصروفات عن الفقراء الذين يعجزون عن أدائها .

ويبلغ عدد الطلبة فى كل من تلك الفصول ٦٠ طالبا فى المتوسط .

وزودت المراكز الاجتماعية بأجهزة راديو يقبل الأهالى على الاستماع اليها كما يقبلون على المحاضرات الثقافية المبسطة التى ينظمها الإخصائيون ويشترك فى القائها المثقفون من أهل القرية .

ويتلق كل مركز اجتماعى المجلات والنشرات الملائمة ونأمل أن يتم قريبا تكوين مكتبة ريفية نافعة فى كل مركز .

ويجرى التفاهم مع وزارة المعارف لتحويل المدارس الالزامية بقرى المراكز الى مدارس ريفية عملية على نظام جديد يحقق الأغراض من هذا التعليم وذلك بعد أن جرب هذا النظام بنجاح فى قرية المايل بالقليوبية .

الناحية الاجتماعية :

لجان المصالحات — وفقت لجان المصالحات لفض الكثير من المنازعات دون الالتجاء الى الإدارة أو المحاكم كما أمكن إتمام الصلح فى كثير من القضايا التى كانت منظورة من سنين أمام القضاء وهى ١٠ قضايا فى برما و ٧ فى هلا و٥ فى منية الحيط و ٤ فى أبى النمرس وتعنى لجان المصالحات بتسوية أسباب الخلاف محليا قبل استفحالها وقد بلغ من نجاح لجنة المصالحات بأبى النمرس أن قررت جمعيات الادارة المختصة إحالة كل مايصل اليها من شكاوى على تلك اللجنة أولا .

لجان الإحسان — حصرت لجان الإحسان كأول خطوة العائلات الفقيرة فى كل قرية ودرست حالتها ثم قامت بحملة فى كل موسم لحث القادرين على إخراج الزكاة الشرعية نقدا أو عينا وصرفها عن طريق تلك اللجان حتى تصل إلى المستحقين فعلا وحتى ينتظم توزيع الإحسان فلا يستأثر فقير بمعونة عائلات متعددة ويحرم ثان من أى معونة . وقد استجاب الفلاحون لنداء تلك اللجان فى المواسم . وأذكر على سبيل المثال ما قامت به إحدى تلك اللجان وهى لجنة الإحسان بأبى النمرس إذ استطاعت بمناسبة عيد الأضحى أن تجمع ١٥ جنيها اشترت منها ملابس وزعتها على ٧٣ فقيرا ووزعت نقودا على ١٨ عائلة وجمعت اللجنة أيضا ٢٠٠ رطل لحم وزعتها على الأسر الثلاثين الباقية التى ثبت احتياجها . وقد كان لنشاط هذه اللجنة الفضل فى أن يمر العيد على تلك القرية وقد حظى كل محتاج فيها بما يلزمه من كساء أو بنصيب من اللحم . وبعد أن لمس الأهلون قيمة نشاط لجان الإحسان أمكن إقناع أعضاء تلك اللجان بوضع سياسة لمساعدة العائلات الفقيرة عن طريق خلق موارد مستديمة لهم بدلا من الصدقة المنقطعة ، وقد بدأت كل اللجان بشراء عدد من الحاكيت الممتازة السابق ذكرها

وزعتها على العائلات الفقيرة بمعدل ٢٠ كتكوتا لكل عائلة فى المتوسط ومعها الغذاء اللازم لها على أن تسترد اللجنة فيما بعد فرخة نظير كل عشرة كتاكيت .

وبدأت تلك اللجان فى الدعاية لتعزيز مواردها لتتمكن من إعطاء كل عائلة فقيرة نعجة أو عنزا صغيرة تسترد ثمنها من النتاج .

وستوجه الصناعات الزراعية والمنزلية الصغيرة كتربية دودة القز والنسيج نحو تلك العائلات الفقيرة أولا ثم الأقل فقرا وهكذا . وستكون تلك اللجان قد حققت مهمتها على أسلم طرق الخدمة الاجتماعية عند ما يتوافر لكل من تلك العائلات الفقيرة عن طريق إنتاج البيض أو تربية الأغنام أو الماعز أو عن طريق الصناعات الصغيرة دخل يكفيها دون ما حاجة الى الصدقات .

الخدمات الدينية — تعنى المراكز الاجتماعية على وجه العموم بتقوية الناحية الدينية والاستفادة بتعاليم الدين فى نشر الفضيلة والنظافة . ويعنى الاخصائيون بمعاونة لجان الإصلاح الدينى بتنظيم خطب الجمعة بالاتفاق مع أئمة المساجد حتى تتناول تلك الخطب ما يهم القرية وأهلها فى مختلف الظروف والمناسبات وحتى تتضمن الإرشاد المطلوب . وقد تم إنشاء مكتب لتحفيظ القرآن بأبى النمرس يضم ٢٠٠ تلميذ والمنتظر أن يتم قريبا إنشاء مكاتب مشابهة فى بقية المراكز . وأنشئت مدرسة الجمعة فى منية الخيط حيث يجتمع الأولاد فى صباح كل يوم جمعة ويزاولون بعض الألعاب الرياضية ثم يستعدون لدرس دينى بسيط ثم يتوضأون ويؤدون صلاة الجمعة جماعة بالمسجد .

والفرض من مدرسة الجمعة هذه تلقين الصغار المبادئ الدينية الصحيحة وتعويدهم على الصلاة وهى أول تجربة من نوعها فى مصر .

وتقوم لجان الإصلاح الدينى بجهود موفقة فى سبيل تطهير الموالد من الرذائل والمفاسد وتسلية المجتمعين بما يفيدهم كعرض أفلام وزارتى الصحة والزراعة أو الاستعانة بالفرق التمثيلية التى كونت من شباب بعض القرى ، وقد كان لنشاط لجنة الإصلاح الدينى بمنية الخيط أثره فى تغيير طريقة الاحتفال بموسم عاشوراء الماضى .

وتمكنت لجنة الإصلاح الدينى بقرية القيطون التابعة لمركز هلا الاجتماعى من اقناع الأهالى حتى امتنعت القرويات عن الخروج خلف الجنازات وكذا عن إقامة حفلات الزار .

الرياضة البدنية والتسلية — يعنى الإخصائيون من المدرسين بالقرى بتنظيم الرياضة البدنية والحفلات الرياضية لتلاميذ تلك المدارس كما يعنى الإخصائيون بنشر الرياضة البدنية

بين شبان القرى "النادى الرياضى بالعلاقة" وتتجه سياسة تشجيع الرياضة فى قرى المراكز إلى إحياء الألعاب القروية المندثرة وتهذيبها و إدخال أقل الألعاب حاجة الى المعدات والتكاليف حتى يستطيع أكبر عدد من القرويين المساهمة فيها .

خدمات مختلفة :

يشمل عمل الإخصائيين والأطباء والزائرات الصحيات مساعدة الفلاحين فى كل ما يعرض لهم من مشاكل وخدمتهم فى أية ناحية تتاح لهم ، وقد اكتسبوا بفضل إقامتهم فى القرى بين أهلها وتشبعهم بالروح الاجتماعية الصحيحة محبة الأهالى وثقتهم وتناول خدمات الموظفين للأهالى مواضيع متنوعة لايتسع المجال لسردها ، كمساعدة الأهالى لدى رجال مختلف المصالح ، مثال ذلك توفير البترول للقرية بالسعر الرسمى بمساعدة رجال الإدارة فى "برما وهلا والعلاقة" أواصلاح الطرق الموصلة للقرية فى "منية الحيط" أو توفير مياه الرى فى الأدوار السيئة فى "برما والعلاقة" أوتوفيرالذرة بالسعر الرسمى للفقراء فى "هلا" وكذا الأقمشة فى "أبى النمرس" وغير ذلك .

وأخيرا لعلى قد وفقت فى عرض مهمة المراكز الاجتماعية وما بدأت تحققه للفلاحين من خدمات فى الفترة الوجيزة التى مضت على إنشائها ، ولعل ما بدا من بوارق نجاح تلك المراكز فى تحقيق رسالتها يجعلكم تشاركوننا الإيمان بأن مشروع المراكز الاجتماعية هو أسلم مشروع شامل للنهوض بالفلاح والقرية بأقل التكاليف .

ولا يفوتنى فى ختام هذا المقال أن أقرر أن لفضل الأول يرجع إلى استجابة الفلاحين أنفسهم ومعونتهم المادية والأدبية كما يرجع إلى إخلاص وتفانى الموظفين المقيمين بتلك المراكز . وأسأل الله ألا يتأخر ذلك اليوم الذى ينال فيه الفلاحون وهم غالبية الشعب بعض ما يستحقون من ميزانية الدولة وعنايتها العملية فتعم المراكز الاجتماعية الريف المصرى وتشمل خدماتها كل أهله وتحقق للفلاحين ما يستحقون من تقدم ورخاء .

أحمد حسين